الموقظة
من
الموعظة

أَلَمْ يَأْنِ ؟!
نصيحةٌ لأهل السنة

كتبها
أبو عبد الله
محمود بن محمد الحداد

بسم الله الرحمن الرحيم
إنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُه ونستعينُه ونستغفرُهُ
ونعوذُ بالله
مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا
مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ
ومن يُضْلِلْ فَلا هَادِي لَهُ.
وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ
وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.
أما بعد:
فقد كتبتُ هذه الموعظةَ
قبل نحو من عشرين سنة إجابةً لطلبٍ .
كتبتُها لنفسي قبل أن أكتبها لغيري
ثم زدتُ فيها الآن لنشرها
والحق أن القلوب في حاجة إلى موعظة
ولو بين الحين والحين
لا بد لها من ذلك
وإلا تصير أعمالك كجسمٍ بلا روح !
بل ويصير قلبك كقلب بلاَ حياة !

إياك أن تظن أن طلبك العلم وصلاتك ووو تغنيك عن الموعظة
لكن من الناس من موعظته حاضرة دائمًا لأمرين
الأول أن الواعظ نفسه
كما روي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول بعض التابعين فيمن يريد الله به خيرًا
الثاني أن العظة في كل شيء
كما قيل :
من كان له في كل شيء فكرة
كان له في كل شيء عبرة
وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [يوسف/105]
ولا ينفع الأمر الثاني في غياب الأول
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج/46]
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا
وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ
أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ [الأعراف/179]
نعم
قد يحب المرء أيضًا أن يسمع الموعظة من غيره
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إني أحب أن أسمعه من غيري .
وأذنك وعينك من أبواب قلبك
فاحذر أن تفتح باب قلبك لكل طارق !
عساه يكون لصًّا يسرق قلبك !
فهؤلاء القُصَّاص والوُعّاظ أصحاب الفضائيات
وغيرها من أهل زمانك
امتطوا مطية غير صالحة ليبلغوا بها بزعمهم
غرضًا صالحًا
فلا والله ما أصابوا في شيء !

لا في مطية ، ولا في كلام !
خلطوا بالباطلِ السنن
وفتحوا أبوابَ الفتن
وصرّحوا بكل اللين
حتى صار هو الدين
وكانوا بالوعظ أولى من غيرهم !
وفاقد الشيء كيف يعطيه ؟!
إذا كان الغرابُ دليلَ قومٍ
أحالهموا على جيف الكلابِ !
لقد ضلَّ من كانت العميان تهديهِ !
مرَّ عليٌّ رضي الله عنه بقاصٍّ
فقال له : أتعلم الناسخ من المنسوخ ؟
قال : لا
قال : هلكتَ ، وأهلكتَ !
فاحذرهم
على دينك وقلبك ووقتك
فوالله
لا يَسْلَم لك شيء من هذا مع مخالطتهم ومتابعتهم !

ولا تقل : الغاية تبرر الوسيلة
فالغاية الصحيحة لا بد لها من وسيلة صحيحة
والذي يسرق ليتصدق
لا يقبل الله منه صدقته
ولا يعفو عنه سرقته !
فأين يجد البركة من يلتمسها بما لا يجوز ؟!
واعلم أنه إذا لم تكن السنة في ميزانك
فقد خفَّ الميزان
مهما كان به من عمل ونية !
فلا بد لكل عمل أن تكون فيه الشهادتان
كلمة الإخلاص
كلمة الاتباع
والله المستعان
وكتب أبو عبد الله
لليلتين بقيتا من شهر شعبان
سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وألف

قد قال الله تعالى:
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد/16]

قال عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه:
مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ !

الباب الأول

حفظ الوقت

قد قال بعض السلف الصالح – رحمهم الله تعالى:
(التسويف من أعظم جنود إبليس).

فما بالنا نحن الذين نزعم أننا عمال الله والآخرة يتسرب إلينا داء عمال الدنيا من الموظفين: (مُرَّ علينا غداً) ؟!

إن الدنيا ثلاثة أيام:

(أ) فأمس

قد مضى بما فيه شهيداً، والله المستعان

فلو قد كنتَ اتعظت ما تركته يمرُّ إلا بشهودِ صِدْقٍ
ولو كنتَ عقلتَ لرأيتَ السيئات، ولكن !
(ب) واليوم
ليس في يديك من عمرك إلا هو !
فربما كان آخر يوم لك من الدنيا !
فإن الموت ليس مرصداً ليوم معروف
بل هو وراء كل لحظة ونَفَسٍ !
فماذا أنت صانعٌ فيه!؟
(ج) وغداً لا يدري المرء ماذا يكون فيه:
حياً أو ميتاً، صحيحاً، أو غير ذلك، قادراً على الطاعة أو عاجزاً عنها مصروفاً إلى غيرها.
إنَّ مِن أعظم نعمة الله تعالى على المرء أن يُدْرِكَ النعمة قبل أن تفوته !
ونعمة الشباب تلك التي يتلهّف عليها الشيوخ حتى يقول قائلهم: ألاَ ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً!
تلكَ النعمة التي قال فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم:
(نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ)

وكلاهما في الشباب!
وهذا الحديث قد افتتح به عبد الله بن المبارك (مات 180) كتابه في الزهد والرقائق ، وتبعه البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه !
(لا تزول قدما عبدٍ يومَ القيامةِ
حتى يُسألَ عن شبابه فيمَ أَفناه)
وأنتم في الشباب فاستعدُّوا للسؤال!
إنَّ عُمْرك رأس مالك – كما قال بعض السلف الصالح – رحمهم الله تعالى
فهل تصنع بمالك من السَّرَف ما تصنعه بعمرك ودقائقه وثوانيه؟!
بلى والله إنَّ الثواني لأَغلى من مال الدُّنيا كلها، يتمناها الميت ولو بمال الدنيا كله !
والمال يغدو يروح
والعمر إذا راح لا يعود !
إنَّ كل دقيقة تمضي كأنما ذهبتَ إلى المقابر فدفنتَ بعضك!
بلى والله

وقد قلتُ في ذلك شعرًا :
ومَرُّ الليالي جنازاتُ عُمْرٍ
فماذا صنيعُك فيما يليها ؟!
سقط ضرسٌ للحسن البصري – رحمه الله تعالى
فقال: اليوم مات بعضي !
إنَّ المرءَ ليفرح
بمرور يوم وأسبوع وشهر وعام
ويتمنَّى ذلك ليقربه من أملٍ له في شيءٍ من
الدنيا كالزواج والتخرج ...
بل وبعض الجهال يحتفل بعيد ميلاد، وغيره...
ولو عَلِمَ حقيقة ذلك كله لما احتفل ولا فَرِحَ !!
وإنْ استطاع أن يُمْسِكَ بيومه، بل بدقيقته لا تمرّ
لا يَدَعُها تمرُّ لفعل !
ولكن هيهات هيهات فلسوف تمرّ.
ذلكَ أنَّ كل يوم يمرُّ إنَّما يقرّب المرء من القبر،
فكل خطوة يخطوها تقرّبه منه !
ولا يستطيع الوقوف !
ولا يستطيع استدبار الطريق ليعود من البدء !

يَسُرُّ المرءَ ما ذَهَبَ الليالي
وكان ذهابُهن له ذهابا
أيها المسكين تفرح بعيد ميلادك ومرور سنة !
تفرح بالبدعة !
وتفرح بما لا يفرح عاقلٌ به
لم يزد عمرك سنة
بل نقص عمرك والله سنة !
أيها المساكين تهنئونه بماذا ؟!
باقتراب الموت منه سنة !
إنَّا لنفرحُ بالأيام نقطعها
وكلُّ يوم مضى يُدني من الأجلِ
فاعملْ لنفسك قبل الموت مجتهداً
فإنما الربحُ والخسرانُ في العمل
والله لو عقلتَ لبكيتَ بكاء الثكلى فقدتْ ولدها
بل أشد
فقد فقدتَ من عمرك شيئًا لا يُعَوَّض !
فما أَغفلنا عما وقع بغيرنا
وهو واقعٌ لا محالة بنا !

واللهِ لو كانَ كلُّ امرئٍ يعرف متى يموت
بعد كم سنةٍ أو شهرٍ أو يومٍ لتنغصّتْ عليه الدُّنيا !
فكيف بمن لا يعِرف
بل وربما كان اليوم الذي يمرّ به لا يوم له بعده إلاَّ القبر !
فكيف بمن يعرف أن الموت يرصده ويختبئ له وراء كل لحظةٍ تمرُّ ؟!
فلربما تأتي المنيةُ بَغْتةً
فتُساقُ مِن فُرُشٍ إلى الأكفان!
النوم أخو الموت
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهل يبيت على فراشك معك كل نومة هذا الخاطر
فنعوذ بالله
من صباحٍ مساؤه إلى النار !
ومن مساءٍ صباحه إلى النار!
ووالله لو كان الموتُ وحده لكان كافياً
فكيف بما بعد الموت ؟!
فهل بعد هذا يحتاج المرء إلى موعظة في حفظ

كل ثانية من عمره لا تكون إلاَّ في طاعة ؟!
تقول : العمر طويل !
وما يدريك ؟!
إن كل لحظة تمرُّ عليك بغير طاعة هي حسرة
نعم هي حسرة عليك يوم القيامة
إن دخلتَ النار ندمت عليها
إن دخلتَ الجنة ندمتَ عليها
حينما ترى الثواب فتقول :
يا ليتني كنت زدت في عمل الخير ليزيد ثوابي
حينما ترى العقاب فتقول :
يا ليتني كنت نقصت من المعصية لينقص عذابي
وهذا المعنى قد ورد
في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والله لو قد جاءك أمانٌ من الله تعالى
أنك لن تموت إلا بعد كذا سنة
لما جاز لك أن تسوّف بالخير لحظة !
فربما جاءك الموت وأنت في غفلة عن التوبة !
وربما طبع الله على قلبك

بإصرارك على المعصية وتقصيرك في الطاعة !
ألا تتدبر
في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
بادِرُوا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم
كن كمن يسابق اللحظات ليأخذ ما فيها من خير ،
ولا يتركها تمضي دون أن تحمل له شهادة خير
أمام الخالق جل وعلا
قال لي بعض أترابي : لقد سُرِق منا عُمرنا !
أرأيتَ لو أن رجلاً وضع شيئًا ثمينًا في جيبه
واطمأن إلى مكانه
وفجأة تحسس جيبه ليطمئن على ما فيه
فوجده خاويًا ولا أمل لاسترجاعه ما فقد !
أيُّ حسرة يتجرعها ؟!
أتعرف قول عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما :
إذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء
وإذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح
نعم
رُبَّ مستقبلٍ يومًا لا يُتِمُّه !

والذي يخوِّفك حتى تصل الى الأمان
خير من الذي يُؤَمِّنك حتى تبلغ المخافة !
المسرف في ماله سفيه يُحجر عليه
وعمرك أثمن من مالك !

الباب الثاني

حفظ السنة

لقد أَتمَّ الله علينا نعمة عظمى
وقد حَرَمها كثيراً من الناس
أتعرف ما هي ؟!
ستقول : الإسلام
أقول لك : والسنة !
نعم فلا تتم عليك نعمة الإسلام إلا بالسنة
كما لا يتم إسلامك
إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله .
فماذا صنعتَ في شكر هذه النعمة ؟!
بل هل عرفتَ قدر هذه النعمة
قدرها فيمن كانت عنده
قدرها فيمن حُرم منها ؟!

أظن أن من يعرف قدرَ نعمةٍ فلن يفرطَ فيها
بل سيصونُها غايةَ جَهْده .
فأين شكرك هذه النعمة ؟!
فشكرانها يزيدها
وكفرانها يذهب بها إلى من يشكرها !
هل الشكر باللسان وحده ؟!
أو بتقبيل اليد ظهرًا لبطنٍ؟!!
لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ .
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ .
يا إخوتاه !
هما أمران أخشاهما !
أن يَشْمَتَ عادٍ أو يُساءَ حبيبُ !
أن تكون ممن يصدُّ عن سبيل الله وأنت لا تشعر
نعم تقول السنة ولا تعلم ما هي ولا تعمل بها
فينصرف الناس عن السنة بسببك أنت !
فما أعظمه مِن إثم !
إذا كان قد قيل :
خير الناس من إذا رآه الناس ذكروا الله

فشر الناس من صدَّ عن سبيل اللهِ !
والثاني أن تكون ممن يجلب قالة السوء على أهل الخير والسنة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن مِن أكبر الكبائر أن يسبَّ الرجلُ والديْه
قالوا : وكيف يسبُّ الرجلُ والديْه ؟!
قال : يسبُّ الرجلُ أبا الرجل ، فيسبّ أباه وأمه !
فجعل من يكون سبب السب كمن يسب مباشرة !
فلنحاذر جميعاً
أَن نكون معرَّة لأهل السُنَّة قبلنا وبعدنا !
فهذا هو البلاء العظيم أن نكون كذلك
في قول أو عملٍ، أو هدْي أو سَمْتٍ!
فوالله ما من خيرٍ عند أحدٍ من الخلقِ إلا ونحن أحقّ بموسى منهم فيه من حُسْنِ خُلُقٍ، أو صبرٍ على الدِّين، أو العلم، أو صلاة ليل، أو صيام نهار، أو حفظٍ للعمر، أو كثرة تسبيح .
قال أحمد رحمه الله لرجل بات عنده فلم يصل في الليل : صاحبُ حديثٍ ، ولستَ بصاحب ليل!؟

بلى والله صاحب ليل ..
ولكن كما قيل: ليل السهر والسمر والكلام والمجالس !
نقول: الإيمان قولٌ وعمل، ورجاءٌ وخوف!؟
فأينَ قولنا من عملنا، وأين رجاؤنا من خوفنا!؟
هل نقول كالمنافقين: شغلتنا أموالنا وأهلونا!؟
إنَّ هذا الدِّين الذي أنعم الله به علينا دين متين دينٌ
لا يصلح أن يخطو المرء فيه خطوة واحدة
إلاَّ بعلمٍ ونيةٍ وقوةٍ .
ولذلك ذُكِرَ عن عمر – رضي الله تعالى عنه:
(أهلُ الرأي أعداءُ السُّنَن
أعيتهم أن يحفظوها فقالوا بالرأي)
الحفظ بالعلم والحفظ بالعمل
وقال سفيان الثوري – رحمه الله تعالى:
(إن استطعت ألا تحكَّ رأسَك إلا بأثرٍ فاصنع) .
هكذا عِلْمٌ: كل شيء بأثر !
هكذا عَملٌ حتى حكّ الرأس يتبع فيه الأثر!
فمن عرف ذلك

لم يسعه للعلم والعمل عمر أهل زمانه !
فكيف وعمره أيام وليالٍ ؟!
فليجتهد في حفظ ما تحت يده
لعل الله تعالى يبارك له فيه
فتصير الدقيقة ببركة الله تعالى
كساعة ممن يُضيِّع عمره.
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :
(عُدّوا سيئاتكم) !
قال عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما :
(لقد فَرّطْنا في قراريط كثيرة)!
وهل للعمل الصالح منتهى يشبعُ منه المرء،
فيقول: كفاني ما صنعتُه اليوم من خير؟!
وهو لا يدري
فلربما رُدَّ عليه كله
لم يقبل الله تعالى منه ذَرَّة لعارض نية أو غيره!؟
وأينَ ليلنا ونهارنا من ليل أهل السُنَّة ونهارهم!؟
أنت
أمام بستان عظيم ووقت قليل وقوة كليلة

فاجتهد أن تجمع من البستان أكثر ما تستطيع من ثماره الطيبة قبل أن ترحل منه رغمًا عنك !
والسنة علمًا وعملاً
أكبر من عمرك وجهدك
فاجتهد أن تحصل منها على أكثر ما تستطيع
(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) .
لماذا لا ترضى في دنياك بالدون
وأنت ترضى من دينك وآخرتك بأدْون الدون ؟!
ما بالك تتعب نفسك في الدنيا الفانية
وتترك لنفسك العنان في عمل الآخرة الباقية ؟!
كلا والله ما هما بسواء .

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدَنِّسَهُ
وَثَوْبُكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا
إِنَّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

ما بالك عمرتَ دنياك الفانية بالفاني
ولا تريدُ أن تعمرَ الباقي بالباقي ؟!

دخلوا على أبي ذر رضي الله عنه داره
فوجدوها خالية !
فقالوا : ما هذا ؟
فقال : كلما جاءني شيء أرسلتُه لأعمر به داري
عند الله تعالى !
مَن مِنَّا يفكر هكذا ؟!

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا
فَلا دِينُنَا يَبْقَى وَلا مَا نُرَقِّعُ

ألا تفكر في فتنة
ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا
يبيع دينَه بعَرَضٍ من الدنيا قليلٍ .
وكل الدنيا في الآخرة قليل ولا جناحَ بعوضة !
وهذه الفتنة هي والله ليست منا ببعيد !
وليست هي على أبواب بيوتنا !
بل والله هي في بيوت بل قلوب بعضنا !
تريد أن تعرف
منزلتك عند الله

ومنزلتك في الآخرة
فانظر
ما هي منزلة ما يحبه الله ومنزلة الآخرة عندك !
يا للفضيحة
سيبدو لك والله فضائح
لا يخفيها عنك أن تغطي عينك ووجهك حياءً !
تقول : أنا من أهل السنة !
وفعلك يقول : هو مرجئ !
فأيهما تصدق ؟!
أتحسب أنه لا يضر مع السنة شيءٌ ؟!
بلى والله
إن الإيمان لينقص حتى يذهب !
هذا أبو الدرداء وغير واحد من أهل السنة يبكي بكاءً مُرًّا
يقول : أخاف أن أُسْلَب إيماني وأنا لا أشعر !
يقول عمر رضي الله عنه :
ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا
وهو لا يشعر !
قال الله تعالى :

أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .
الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا !
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا
فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا !
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا
أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ !
قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ
وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ
وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا
آه
إن النفاق اختلاف السر والعلن
وتزعم السنة !
تؤمن بأن الله يراك

وفعلك لا يدل على إيمانك !
أرأيتَ لو علمتَ أن فلانًا يراك
فماذا كنتَ صانعًا ؟!
وفلان هذا
بل وكل فلان
كلهم مسكين مثلك
لا يملك لنفسه
فكيف تظن أنه يملك لك ؟!
أتجعل الله تعالى أهون الناظرين ؟!
ألا تستحيي من الملائكة الكرام الكاتبين ؟!
آه
إن النفاق اختلاف السر والعلن
وتزعم السنة !
تعيش مع أهل زمانك
وما تؤمن به من السنة إنما هو سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير قرون هذه الأمة
فهلا عشتَ مع هؤلاء لا هؤلاء !
تنظر إلى أهل زمانك
فتقول بملء فيك :

الحمد لله
الذي عافانا مما ابتلاهم به !
فهل نظرتَ إلى هؤلاء السابقين
لتقول كما قال الحسن البصري :
ما نحن فيمن قبلنا إلا كاللصوص !
لتقول كما قال أبو عَمرو بن العلاء :
ما نحن فيمن قبلنا إلا كبقلٍ في أصول نخلٍ !
لا تسابق أهل زمانك فتفتر همّتك !
انظر إلى ما قال ذاك التابعي :
ينبغي كلما رأيتَ التقصير من أهل زمانك
أن تزيد في العمل !
تزيد لتبتعد عنهم
لا تقصر فتقترب منهم !
فهل ما تزعمه من السنة
أو هو الإرجاء والاسترخاء ؟!
ما بالك
تنظر إلى الحسنة
فتستصغرها أن تفعلها
فتضيع منك

وقد علمتَ بسنتك
لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا
اتق النار ولو بشِقِّ تمرة !
كم فيها من مثقال ذرّةٍ ؟!
ما بالك
تنظر إلى الحسنة قد فعلتَها
فتعظم في عينك
وأنت لا تدري
هل قبلها الله منك ؟!
هل ردَّها عليك ؟!
بل قد تكون هي مطيتك إلى النار !
ولو قد كانت خيرًا
لدعتك إلى خيرٍ بعدها
فإن ثوابَ الحسنةِ الحسنة بعدها !
ما بالك
تنظر إلى السيئة فتستصغرها أن تجتنبها
تقول : صغيرة !
صغيرة
إذن فاجتنبها !

وتنسى أن
الكبائر من الصغائر
معظم النار من مستصغَر الشرر
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ
اتق محقرات الأعمال فإن لها من الله طالبًا
إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ
فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ
وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلاً :
كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلاَةٍ
فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ ،
فَيَجِيءُ بِالْعُودِ ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ ، حَتَّى
جَمَعُوا سَوَادًا
فَأَجَّجُوا نَارًا ، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا .
وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ
مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ.
ما بالك
تنظر إلى السيئة فتستصغرها أن تجتنبها
تقول : غفور رحيم

وتنسى أن
الغفور الرحيم هو شديد العقاب !
الغفور الرحيم الكريم لا ينبغي لك عصيانه !
أفلا أكون عبدًا شكورا
تقول : سأتوب
وتنسى أن
حبيبك لا بل عدوك إبليس قال : وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
التسويف من جنود حبيبك لا بل عدوك إبليس !
الطبع على القلب لا يأمنه عاقل !
تفريطك في التوبة
وأنت قادرٌ عليها
قد يكون حائلاً لك فيما بعدُ
فيمنعك من التوبة !
وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ
أي: يحول بَين الْمُؤمن وَبَين الْكفْر ومعاصي الله
ويحول بَين الْكَافِر وَبَين الإِيمان وَطَاعَة الله
سمع عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ
غُلَاما يَدْعُو:

اللَّهُمَّ إِنَّك تحول بَين الْمَرْء وَقَلبه
فَحُلْ بيني وَبَين الْخَطَايَا
فَلَا أعمل بِسوءٍ مِنْهَا
فَقَالَ عمر رَضِي الله عَنهُ: رَحِمك الله
ودعا لَهُ بِخَير
ما بالك
تنظر إلى السيئة فتستصغرها أن تجتنبها
تقول : لي حسنات
وتنسى أن
هذه الحسنات لم يأتك من الله أنها مقبولة !
أتكون كهذا المرجئ الأحمق
الذي ما يترك من مبتدع وفاجر إلا قال بلا
استحياء :
سيئاته مغمورة في بحر حسناته ؟!
يتألَّى على الله !
والله لو كانت حسناتك مقبولة
ما كانت سيئاتك منشورة !
يا أحمق
ألا تعلم

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ
هذا في الحسنات المقبولة والسيئات المغفورة
وأن السَّيِّئَاتِ يُذْهِبْنَ الْحَسَنَاتِ أيضًا
كما سبق :
لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا
فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا !
ألا تعلم أن السيئة وإن غفرها الله تعالى
ما يزال لها تبعة ؟!
نعم
تضعها نصب عينك نادمًا
حتى تلقى الله تعالى خائفًا راجيًا
فكم ممن دخل الجنة بسيئة !
عملها ، فتحسّر عليها حتى مات !
وكم ممن دخل النار بحسنة !
عملها ، فتكبر على الله وخَلْقِ الله بها حتى مات !
إن للسيئة حزازة في القلب وحسرة لا تذهب !
نعم
قال الفُضَيْل :

وا حيائي منك وإن عفوتَ !
نعم
إن السيئة
دليل مفارقة خشية الله لقلبك
ألا تنظر
إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
ليس فقط في الزنا الكبير
بل في كل زنا :
العين تزني ... والقلب ..
نعم
الإيمان كالقميص
فحين تواقع السيئة
تلبس ثوبها
وتخلع ثوب الإيمان
أنت سنيٌّ
فلن تقول كالجهلة : هل معنى ذلك الكفر ؟!
فأنت تعلم الإسلام والإيمان والإحسان

فمن خرج من الإيمان إلى الإسلام
فأي خيرٍ طردتك سيئتك وحرمتك منه ؟!
أن تعبد الله كأنك تراه
فإن لم تكن تراه فإنه يراك
ألم يعلم بأن الله يرى ؟!
يا للفضيحة
قد عمي بصرك بغفلتك
حتى صرتَ كالكافر
لا تظن أن الله يراك !
لا تشعر بالكرام الكاتبين معك !
لا تشعر بأن المكان والزمان شاهدٌ عليك !
السيئة ، آه من السيئة
إنها دليل هوانك على الله
نعم
ألا تنظر ماذا يقول الحسن وغيره:
هانوا على الله فخلّاهم للمعصية
ولو عَزّوا على الله لعَصَمهم !
إِنَّمَا هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ
وَلَوْ كَرُمُوا عَلَيْهِ لَمَنَعَهُمْ مِنْهَا !

ألا تقرأ قول الله تعالى :
إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا
وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا .
عَصَمَهما من الفشل
لذلك قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما :
فِينَا نزلت فِي بني حَارِثَة وَبني سَلمَة
وَمَا يسرني أَنَّهَا لم تنزل لقَوْل الله :
وَالله وليهما .
إذا هان العبد على الله لم يكرم على أحدٍ
قال الله تعالى:
وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ
الباب الثالث
أين أنت من الفتن ؟!
لقد شاء الله تعالى أن يمتحن عباده ويبلوهم
ويبلوا أخبارهم:
أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا
أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟!
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ
مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا
حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
مَتَى نَصْرُ اللَّهِ
أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ؟!
ذلك أَنَّ الدُّنيا سجنُ المؤمن
كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم.
فأهل السُنَّة في كل زمنٍ هم قلةٌ غرباءُ تشتدّ
عليهم الفتن ... فماذا يكون موقفهم عند الفتن!؟
في فتنة قريبة انشغل الناس بالإذاعات وفقه
الواقع والمجالس .. !
فمتى يشتد اللجأ إلى الله ؟!:
فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا
وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .
قال بعض السلف الصالح – رحمهم الله تعالى:
لما وقع الطاعون
كانت ركعتان يصليهما المرء
أحبُّ إليه من غيرهما .

وفي عشر رمضان كان كثير من السلف الصالح – رحمهم الله تعالى – يَدَعُ كثيراً مما ينشغل به إلى الصلاة والقرآن .
وكذلك عشر ذي الحجة
وقد قال فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم: ما من أيامٍ العملُ الصالح فيها أحبُّ إلى الله تعالى من أيام العشر .
وهاهو ذا عُمْرك كله، وليلك ونهارك، وقعودك وقيامك.
تعالوا لنرى كيف يَحْيَى بعض الناس
ثم يخادع نفسه وغيره:
نحن من أَهل السُنّة !
- يصحو المرء لصلاة الفجر على الأذان !
بل ربما بعده، بل ربما لا ... !
فأين ركعتان في جوف الليل!؟
وأين الحياء من العباد
وأنت تروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها السني !

يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ
حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا
فَيَقُولُ :
مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟
مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟
مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ
فبالله عليك
هل هذا عَمَلُ من يؤمن بهذا ؟!
ـ وما يكاد يفرغ من صلاة الفجر
إلا والفراش ينتظره!
فأين مجلس الذكر بعد الفجر
وفيه ما فيه من المثوبة ؟!
ـ ونهاره وليله كلام
وقد قال بعض السلف الصالح – رحمهم الله
تعالى:
من لا يَعُدُّ كلامَه مَن عَمَله خسر .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ثكلتك أمك!

وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم
إلا حصائدُ ألسنتهم ؟!
ـ قد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم
يعلِّم صحابته – رضوان الله تعالى عليهم –
الاستخارة في الأمور كلها
كما يُعلمهم السورة من القرآن
انظر: (الأمور كلها) و (كما يعلمهم السورة).
فبالله عليك
كم من مرة استخرتَ
لا أقول في يومك !
بل في عمرك ؟!
كم هي نعمة وعبودية أن تستخير الله في كل
شيء !
أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ
فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
ما بالك

قولك يخالف فعلك
وجهك يخالف ثوبك
دينك يخالف دنياك
هل أنت من أصحاب الوجهين واللسانين ؟!
وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ .
الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ .
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ .
أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ .
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ .
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .
أتعرف مَن هؤلاء :
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

الباب الرابع

حفظ المجالس والدنيا

قد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:
لا سَمَرَ بعدَ العِشاء .
فبالله عليك
كم مرة في عمرك كله نمت بعد صلاة العشاء لتقوم ليلتك وفجرك نشيطاً ؟!

تزعُم أنك تطلب العلم؟!
بل والله قد ضيّعتَ العلم !
فإن العلم إنما يُطلَب بالعلم !
أو تطلب مجالس الكلام والخصام !؟
وهل ثمة علم نافع إلا بعمل صالح!؟
يا إخوتاه!
إن المجالس نوعان:
مجلسك مع نفسك
ومجلس مع الناس.
1 - فهل جلسَ أحدنا مع نفسه
كما يجلس مع غيرها ؟!
يجلس يحاسبها
على ما بدر منها وفرط عنها
قبل أَن تُحاسَب وتوضع لها الموازين
التي لا يفوتها
مثقال الذرة والفَتيل والنَّقير والقِطْمير!
لو تَرَصَّدَها لعرف أمرها
ولكن كثرت الذنوب، وندر الحساب على ما بدر
فصارت الأنفس ترتع ولا رادعَ

حتى يظن المرء ذنوبه من القُربُات!
وهي من الموبقات!
كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم:
إنكم لتعملون أعمالاً
هي أدقُّ في أعينكم من الشَّعَر
كنا نعدُّها على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الموبقات !
أين قول أم الدرداء - رحمها الله:
كانت أفضل عبادة أبي الدرداء - رضي الله عنه - التفكر.
حتى روي عنه: تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ مِن قيام ليلة!
يتفكَّر في:
أمسه الذي مضى
وواحسرتاه على ما مضى !
وذنوبه
التي لم يأتِهِ خبر من الله تعالى بأن قد عفا عنه فيها !
وحسناته التي لم يأته خبر من الله تعالى بأنه قبلها

فربما ردَّها، بل أدخله النار بها!
ونِعَم الله تعالى
عليه في نفسه وأمره كله
حتى في كل لحظة يعيشها !
ويتفكَّر في:
ذلك اليوم العظيم
الذي يفارق فيه الدُّنيا كلها بلا رجعة !
وذلك اليوم العظيم
الذي يُدْخِله أحبابه فيه قبره ويَدَعونه وحيدًا لعمله !
وذلك اليوم العظيم
الذي يبعثه الله فيه
: فريقٌ في الجنَّة ، وفريقُ في السعير!
قال مالك ـ رحمه الله:
إذا لم يكن للإنسان في نفسه خيرٌ
لم يكن للناس فيه خير .
والله لو كان ما سبق فقط من مجلسه مع نفسه لشغله يومه كله !

فكيف ومجلسه مع نفسه فيه غير التفكُّر !؟
فيه الصلاة والذكر والتسبيح !؟
فيه طلب العلم والبحث والحفظ !؟
والعلم كما قال مالك ـ رحمه الله:
حَسَنٌ جميلٌ
ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه .
ويبقى عليك شكراً للنعمة وحفظاً لها
كما قال بعض السلف ـ رحمهم الله تعالى:
إذا أَحدثتَ علماً فأحدثْ له عبادة .
أي كلما زدْتَ علماً فازددْ له عبادة!؟
لتثبته وتشكر الله عليه فينفعك به.
قال الثوري – رحمه الله تعالى:
هذا زمن إقبال على النفس!
فكيف بزمننا ؟!
وأين : لِيَسَعَكَ بَيْتُك ؟!
2 – ثم المجالس مع غيرك .. مع الناس.
والناس نوعان:
مؤالف لك في دينك

ومخالف لك فيه.
(أ) فأما المؤالف:
فمثلك ودونك
فاحفظ عليك وعليه وقته وعمره
ولا تلقه إلاَّ وتنفعه بعلمٍ أو حَلْمٍ بسمْتٍ أو هدْي،
أو من هو أعلم منك
فلا تلقه إلا وتستفيد منه ولا تشقّ عليه
فما بلغَ أن يكون أعلم منك إلاَّ بحفظه وقته
فلا تضيِّع عليه ما بلغ به .
وقد قال الله تعالى في مجالستهم لرسوله – صلى الله عليه وسلم – ما قال
إذْ أمرهم بتقديم الصدقة بين يدي نجواهم له ثم عفا عنهم في ذلك .
وأمرهم بغيره:
حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا
وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ
وليس القول باللسان فقط
فإنَّ للحال مقالاً أَبلغ من اللسان في مثل ذلك.

وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا
فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا
وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ
إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ
وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ
ما بالك تزعم محبتك لأخيك في الله
وأنت تضيِّعُ عليه من خير ما أنعم الله عليه
وهو وقته!؟
إنَّه يعطيك عن كراهةٍ شيئاً
لن يبارك الله لك فيه:
هو عمره ووقته !
أترضى أن تكون كحال الرجل الذي استأذن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم
فقال: (بئس أخو العشيرة)، ثم صبر حتى قام!؟
أترضى أن يبش في وجهك
وقلبه يغلي عليك لتضييعك عمره!؟
قد نهى – صلى الله عليه وسلم – عن
(قيل وقال) و (كثرة السؤال) و (إضاعة المال).

وكل هذا في مجالسك، وكفى بالعمر مالاً.
قال سفيان الثوري – رحمه الله:
أترون لو كان معكم أحد يرفع الحديث – أي من الشرطة – كيف كنتم تتكلَّمون؟!
يعني عدًّا للكلمات؟!
قال – رحمه الله -: فإِنَّ معكم من يرفع الحديث – يعني الملائكة – تكتب كل لفظ .
مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ
جلس الثوري وغيره – رحمهما الله تعالى – فتذاكرا وتباكيا
ثم قالَ أحدهما: أظنُه مجلس خير: تذاكرنا وتباكينا !
فقال الآخر: أظنه غير ذلك:
تزينتُ لك، وتزينتَ لي!!
قال أبو عُبيد – رحمه الله: يا أبا عبد الله لو أتيناك على قدر محبتك لأتيناك كل يوم!
قال أحمد – رحمه الله:
يا أبا عُبيد ، لا تقل ذلك

فإنَّ رجالاً مودتهم أوثق في قلوبنا لعلنا لا نراهم إلاَّ كل سنة !
قال أبو عبيد لنفسه: فائدة يا أَبا عُبيد!
أضعتَ وقتك، فنالك من الغُبن ما نالك!
وأضعتَ عليه وقته وملأتَ نفسه عليك مالا يجرؤ أن يجهر به، فنالك من الإثم ما نالك!
فلئن كان هذا صنيعك بمن تألفه وتحبه – بزعمك – في الله !
فقل لي بربك ماذا تصنع بمن تبغضه في الله؟!
قال الثوري – رحمه الله:
إنِّي لأَفرح بالليل لأَني لا أرى فيه أحداً !
فأما الآن فالليل بلاء!! والنهار عناء!!
دقيقة واحدة فيها عشر تسبيحات بمائة حسنة!
أفتضيّع على من تحبه مائة حسنة ؟!
هذا غير ما كسبه من ذنب !
تعرف يوم القيامة:
الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ.
ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا
فماذا تريد أن تكون أنت وإياه يوم القيامة!؟
كان عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه – يجعل لأصحابه – رحمهم الله تعالى – يوماً واحداً ويقول: أعلم مكانكم وحرصكم أن نجلس كل يوم، ولكن كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتخولنا بالموعظة خشية السآمة علينا.
وإذا رأيتَ الرجل ينشط في مجالس الناس،
ويكسل وحده
فليس ذاك والله من علامات الخير فيه
بل هذه بلية ينبغي له أن يتعهدها من نفسه.
زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حبًّا
ولا تجعل الزيارة إقامةً
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضيافة: لا يحلّ أن يقيم بعدَ ثلاث
لكي لا يؤثمهم
فاحسبْ زيارتَك بالدقائق
وتخيَّر لها الوقتَ المناسب
واجعلها لحاجة:

متى قُضيتَ انصرفتَ مشكوراً من مَزُورك
حافظاً لعمرك ، حريصاً على حياتك
هذا إذا كان المجلس كله خيراً
فكيف وما طال مجلسٌ إلا كَثُرَ لغوه وهذره ؟!
(ب) وأما المخالف:
فما أحراك أن لا تُهْديه أثمن ما لديك
ليلقيه في القمامة: وهو عمرك رأس مالك !
فلئن كان طالبَ حقّ
فدُلَّه على الكتب – وقد توفرتْ
ودُلَّه على الاستخارة – وهي يسيرة
فإن جاءك بعدَها
على غير جدالٍ
وعلى شرط مجلس المؤالف – كما سبق.
وإلا فلا .
ولئن كان طالبَ جدالٍ – فما أَكثرهم – لا كثَّرهم الله.
فوطِّنْ نفسك على مناهج أهل السنة فيهم !
أم تزعم أنكَ من أهل السنة

فكيف ولا تسلك مسلكهم ؟!
مناهج أهل السنة فيهم الإعراض، وهجرهم، وتسفيههم
أما مناهج أهل الأهواء
فهو الجدال ورفع الأصوات .
قال عبد الله بن المبارك – رحمه الله:
كنتَ إذا حضرتَ مجلس سفيان الثوري – رحمه الله – إن شئتَ رأيت الورع والصلاة والفقه والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم .
وإذا حضرتَ مجلس أبي حنيفة
فالصياح والجدال
ولا أعلم أنهم صلوا عليه – صلى الله عليه وسلم – حتى ينصرفوا !
حتى قال الشعبي – رحمه الله:
لقد بغَّضَ إلينا هؤلاء الآرائيون المسجد !!
فأين أنتَ مِن قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم، فمتى تعمل به :
أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنة لمن ترك المِراءَ وإن كان مُحِقّاً .

إنَّه – كما قال السلف الصالح – رحمهم الله تعالى :
يقسِّي القلب ويُمرضه
وينبتُ النفاق فيه
ويضيِّع العمر
ويضيِّق الصدرَ
ويزيد البلاء
ويلقي فيه الشيطان على ألسنة الفريقين العظائم،
فإنَّ المِراءَ ساعة يبتغي فيها الشيطان زلة العالم،
فكيف بالجاهل مِثْلي ومِثْلك ؟!
فيا إخوتاه!
ليقبلِ المرءُ على شأنه
ويحفظ عليه عُمْره
ويحفظ عليه ودّ أخيه
ورضا ربه
وبيت الجنة .
ولا تنسَ ختام كل مجلس تجلسه أو تقفه
ولو كان دقائق

وليكن حسابك بالدقائق
فسوف والله تُحاسَب على ما دونها.
والله المستعان، والحمد لله على كل حال.
وشيء عظيم
إي والله عظيم
جليس السوء هذا المسمى بالنت
إنه شبكةٌ أنت المَصيدُ فيها !
أقول :
شبهات
وشهوات
وتضييع أوقات
نعم فيه فائدة
ولكنها أخشى أن تكون
كفائدة الخمر أو رشوة إبليس !
كم أفسد من دين ومن دنيا !
هو كالسوق المركزي
إن دخلتَه لحاجة لا بد منها
ولم تذهب يمنة ولا يسرة

وإلا هلك مالك ووقتك وبالك ووو !
لا تخلونّ به إلا ومعك الحرس والسلاح !
وإياك من خدعة الشيطان في تتبع الأخبار
قد كنتَ تنكر
على صاحب الجريدة
يقرأ منها كل يوم ما لا يقرأ من القرآن !
وعلى صاحب الإذاعات
يسمع ويتنقل بين هذه وتلك كأنه في غرفة
عمليات حربٍ قد قامت هو رأس أركانها !
ولستُ بسائلٍ ما دمتُ حيًّا
أسارُ الجُنْدُ أم ركب الأمير ؟!
اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ
إخوتاه
لقد تعففتم عن مشابهة الضالين
كما تقولون في كل قراءة للفاتحة
فما بالكم تسيرون سيرتهم ؟!
وقد قال الله تعالى:
تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ
فإن فسادها حالقة للدين
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
1 – فإنه
من (حق المسلم على المسلم)
ومن (الدين النصيحة)
و (سباب المسلم فسوق)
و (مِن أربى الربا استطالة المرء في عِرْض أخيه)
و (كل المسلم على المسلم حرام:
دمه وماله وعِرْضه)
و (لعن المؤمن كقتله)
كل ذلك قاله رسول الله – صلى الله عليه وسلم.
اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا
وأين قوله صلى الله عليه وسلم:

من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة
من تتبع عورة أخيه
فضحه الله ولو في جوف بيته
من سمّع سمّع الله به
لا تعينوا الشيطان على أخيكم .
وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم
إن المرء ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى عليه يهوي بها في النار
أبعد ما بين السماء والأرض .
2 – والله - عز وجل – (عَفُوٌّ يحب العفو) كما قال رسوله صلى الله عليه وسلم
وقد قال – جل وعلا:
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وأين منكم من يتصدق بعِرْضه على المسلمين
فإنه ما زاد عبدٌ بعفوٍ إلا عِزّاً

شغل امرؤٌ نفسه بالخير لا تشغله بالشر
فمن كان لسانه:
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا
فإن الاستغفار له في وادٍ بعيد !
أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ
يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ
الدين في غربة
والمرء في كربة
وترى من شغله محاسبة نفسه:
أعيى الشيطان أن يأتيه من حيث يحتسب:
من دينه الذي أنعم الله تعالى عليه
فعلّمه ما لم يكن يعلم
فأتاه الشيطان من حيث لا يحتسب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إن الشيطان يئس أن يُعبد في أرضكم
ولكنه فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم
ولكنه في التحريش بين المصلين .
هي الآفتان:
آفة العُجْب

حينما لا يصون المرء ما أنعم الله تعالى عليه من دين، فيفرط فيه بتحقير أمر المعاصي التي تقع منه طالما أنه صاحب سنة بزعمه، وما تزال به الصغائر حتى تجتمع عليه فتهلكه .
وآفة فساد ذات البين الحالقة للدين
والتي تجعله أثراً بعد عين.
أما تفطن إلى قول عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه:
وكم من مريدٍ للخير لم يبلغه
لأنه لم يسلك مسلكه
إذا ماتت سنة قالوا ماتت بدعة !
فمن كان داؤه الجهل فبالعلم داؤه، ومن كان داؤه البدعة والإصرار فلا تداره ولا تداوه !
بل السلامة السلامة !
وقد ذكر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم:
ما توادَّ اثنان في الإسلام فيفرَّق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما
فلينظر كل منا إلى ذنبه الذي عاقبه الله وعاجله

به ففرق بينه وبين أخيه وحَرَمَه النعمة.
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا
وليرغب كل إلى ربه
لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ
والله المستعان على ما تصفون.
ألم يأن
فإنه لابد لطالب العلم أن يستعف ويستغني لئلا يطلب الدنيا بعلمه ودينه، فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة: لابد له من معيشة، ولابد له من القصد، فإن أمامه – إن كان صادقاً:
(منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال)
فلئن كان طالب علم فأمامه نهمة في تعلم ما لا يعلم والعمل بما يعلم.
ولئن أخطأ طريق طلب العلم ليتحولن به الأمر إلى طالب دنيا
رأى رجل كثرة طلبة الحديث، فأعجبه ذلك

فقال له شيخه من السلف:
لا تعجب!
فثلثهم يموت، وثلث تلهيه الدنيا
وقليل من يبقى !
ولئن حدث ذلك ليكونن فتنة للناس
حينما يتحول من طالب علم إلى طالب دنيا.
إن الدنيا والعلم لا تجتمع لأحدٍ إلى على ندرة
وقوة !
الدخول على أهل الدنيا مفسدة فإنهم – كما قيل –
يأخذون من دينك أكثر مما تأخذ من دنياهم !
العلم دواء الدين، والمال داء الدين – كما قيل،
فإذا استجرَّ طالب العلم الداء، فمتى الفلاح؟!
ماذا يعجبك يا طالب العلم من الدنيا!؟
قد ذقت حلاوة طلب العلم
فلا والله لن تجد مثلها في الدنيا كلها !
وإن كنت ذقتها
فإن الدنيا وطلبها سيسلبك ما ذقت !
ذكر وهب بن منبه وسفيان بن عيينة

أنهما لما خالطا بعض الدنيا حُرِما حلاوةً كانا يجدانها في العلم.
قيل لوهيب: أيجد حلاوة الإيمان من عصى؟!
قال: لا ولا من همَّ بمعصية !
ماذا تخشى يا طالب العلم لو طلبتَ من الدنيا ما لابد لك منه دون أن تصير من أهلها!؟
أيسرك أن تُحْشَر يوم القيامة مع أهل العلم
ورأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصحابته ومن تبعهم – رحمهم الله تعالى ؟!
أم يسرك أن تُحْشَر مع أهل الدنيا وزخرفها ؟!
أتخشى ألا يرزقك الله !
وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:
إن رُوحَ القُدُسِ نفَثَ في رُوعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها
فاتقوا الله وأجملوا في الطلب
ولا يحملنكم استبطاء رزق الله على أن تطلبوه بمعاصيه
فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته

والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن الدنيا .
إن هذا الدنيار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم .
إن كنت لا تأبه بأمر نفسك، فارحم من رآك :
طالب علم أعجبه أمرك وتمنى حالك
فإذا رآك تنافسه في الدنيا كما ينافس فيها صرتَ فتنة لمن يقول: لو كان يعلم أن فيما طلبوا من العلم خيراً لما تركه !
فاتق الله أنت تصد عن سبيل الله وأنت لا تشعر!
قال عمر بن عبد العزيز لأبي قلابة رحمهما الله: تشدَّدْ ولا تُشْمِتْ بنا المنافقين .
ولقد أنعم الله عليك بنسب أو نسبةٍ:
فالنسب أو النسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالعلماء ورثة الأنبياء.
فهل تكون
مَثَل العالم يعلِّم الناس وينسى نفسه كالمصباح يضيء للناس ويحرق نفسه !
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ !
كمثل الحمار يحمل أسفاراً !

يا طالب العلم ماذا زهدَّك في العلم
حتى تركتَه، أو بالدنيا خلطتَه!؟
بابٌ من العلم تتعلمه لله خير من الدنيا وما فيها
وشتان ما العلم والمال من وجوهٍ لا يخفى على
مِثْلك دَرَكُها.
من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً
سهَّل الله به طريقاً إلى الجنة
- ومجلس العلم جلساؤه فيه الملائكة، ومجلسك
مع كتبك في العلم تجالس فيه – لأنك من أهل
السنة لا تخالط المبتدعة أحياءً ولا أمواتاً! –
الصحابة وخيار الناس
كما قيل لعبد الله بن المبارك: ألا تستوحش!؟
قال: كيف استوحش وأنا أجالس الصحابة
والتابعين- يعنى كتبهم والآثار التي فيها عنهم –
رحمهم الله.
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من يُرِدِ الله به خيراً يفقه في الدين
من يُرِدِ الله به خيراً يُصَبْ منه

فكانت علامة الخير في العبد
زيادة فقهه في الدين ونقص دنياه .
وقال صلى الله عليه وسلم: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً .
فما حالك:
هل هي عثرة الفرس، أو هي دلالة سوء ؟!
أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
يا طالب العلم
ماذا أعجبك في الدنيا حتى تصير من أهلها!؟
وقد قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم:
كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل .
ـ وقد علمتَ من السنة
هجرَ أهل البدع والمعاصي
وهل جرَّهم أو جرَّأ بهم على ما هم فيه إلا الدنيا !
وعلمتَ من القرآن:
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

قد ذقت حلاوة العلم حتى صرت في نعيم لم يذقه
أهل الدنيا بما أورثوه لأنفسهم من هموم الدنيا
وغمومها وأحزانها ومنازعتهم لأهلها
فمهما طلبت مثلَ ما ذقت فما تجد في الدنيا ... :
فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى !
أتظن أنك تجمع بين الدنيا والدين !
هيهات قد قال خير الناس صلى الله عليه وسلم:
عبداً نبياً !
زيادة الدنيا نقصان الآخرة وطول الحساب
بل وقبل ذلك كله ضياع الدنيا نفسها !
ولو كانت الدنيا خيراً ما اشتركت فيها أنت
وعدوك في الله فإن الله يعطيها من يحب ومن لا
يحب، ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما
سقى منها كافراً شربة ماء – كما علمتَ من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
عجباً للدنيا وأهلها، ماذا رأوا منها حتى أحبوها ؟
عيشها حقير ، وعمرها قصير ، ومتاعها غرور!
لها في كل يوم بل ساعة صريع طريح

الموت فيها أقرب للحي منها
ومهما سعيتَ فيها
فلن يصيبك منها إلا ما كتب الله لك:
فرزقك لن يأخذه غيرك فقد كتبه الله لك مع أجلك
ورزق غيرك لن تأخذه مهما صنعت
فهلا أقررت عينك فطلبت منها ما يصلحك
فإني ناصحك.
المرء على دين خليله
والقرين بمن يقارن، وإنه ليُعرف حب الرجل
للدنيا بمحبته لأهلها ومجالسته لهم !
ومَن طلبها تصدر المجالس وفيها ينافس !
وطالب العلم يهرب من الدنيا وأهلها والعلو فيها
خشية فساد قلبه عليه .
2 – ومِن فَرَحِه وحُزْنه عليها.
3 – ومن هيئته !
إذا رأيت الرجل يتهاون بإدراك التكبيرة الأولى
للصلاة في الجماعة فاغسل يديك منه. !
المسلم عند الدينار والدرهم !

ذُكِرَ أن الوليد كتب إلى أخيه خالد يدعوه إلى الإسلام:

فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد!؟

وقد سألني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عنك، وقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي به الله، قال: ما مِثْلُه جَهِلَ الإسلام، لو كان جعل نكايته على المشركين لقدَّمناه على غيره، فاستدرِكْ يا أخي ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة .

ولما ولي رجل من المحدثين القضاء، كتب إليه عبد الله بن المبارك – رحمه الله تعالى:

أيا جاعلَ العلم له بازياً يصطاد أموال المساكينِ
اِحْتَلْتَ للدنيا ولذاتها ... بحيلةٍ تَذْهبُ بالدينِ
وصرتَ مجنوناً بها بعد ما كنتَ دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها
عن ابن عونٍ وابن سيرين
إن قلتَ: أَكْرِهْتُ فذا باطلٌ
زلَّ حمار العلم في الطين !

هذا الكتاب
اقرءه في خلوة مع نفسك
اقرءه بقلبك مع عينك
اقرءه كأنك تخاطب نفسك فهو مرآتك
هذا الكتاب
يقول لك :
قد قيل لك :
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ .
قبل أن يقال لك ما قيل لفرعون :
آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ
أَلَمْ يَأْنِ
فقل : بلى يا ربِّ قد آن
قبل أن يقال لك ما قيل لفرعون :
آلْآنَ